

إحياء علوم الدين

فلو جلست إليه لعل ا ب يرحمني فجلس إليه فقال العابد أنا عابد بني إسرائيل وهذا خليع بني إسرائيل فكيف يجلس إلي فأنف منه وقال له قم عني فأوحى ا ب إلى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحببت عمل العابد . وفي رواية أخرى فتحوّلت الغمامة إلى رأس الخليع .

وهذا يعرفك أن ا ب تعالى إنما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل العاصي إذا تواضع هيبة ب ذل خوفا منه فقد أطاع ا ب بقلبه فهو أطوع ب من العالم المتكبر والعابد المعجب . وكذلك روي أن رجلا في بني إسرائيل أتى عابدا من بني إسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوا ب لا يغفر ا ب لك // حديث الرجل من بني إسرائيل الذي وطئ على رقبة عابد من بني إسرائيل وهو ساجد فقال ارفع فوا ب لا يغفر ا ب لك الحديث أخرجه أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة في قصة العابد الذي قال للعاصي وا ب لا يغفر ا ب لك أبدا وهو بغير هذا السياق وإسناده حسن .

فأوحى ا ب إليه أيها المتألي بل أنت لا يغفر ا ب لك وكذلك قال الحسن وحتى أن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب المطرز الخز أي أن صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضا قلما ينفك عنها كثير من العباد وهو أنه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد أن يغفر ا ب له ولا يشك في أنه صار ممقوتا عند ا ب ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب واغترار با ب وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم إلى أن يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه وإذا أصيب بنكبة زعم أن ذلك من كراماته وأن ا ب ما أراد به إلا شفاء غليله والانتقام له منه مع أنه يرى طبقات من الكفار يسبون ا ب ورسوله وعرف جماعة آذوا الأنبياء صلوات ا ب عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم إن ا ب أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل المغرور يظن أنه أكرم على ا ب من أنبيائه وأنه قد انتقم له بما لا ينتقم لأنبيائه به .

ولعله في مقت ا ب بإعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين . وأما الأكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمى حين كان تهب ريح أو تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم إلا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا .

وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا يتقي ا ب ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذاك

ربما يضر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان به ثم إنه يمتن على الله بعمله .

ومن اعتقد جزما أنه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله فإن الجهل أفحش المعاصي وأعظم شيء يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بأنه خير من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ولذلك روي أن رجلا ذكر بخير للنبي A فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي A فقال له النبي A أسألك بالله حدثك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم // حديث أن رجلا ذكر بخير للنبي A فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سفعة من الشيطان الحديث أخرجه أحمد والبخاري والدارقطني من حديث أنس .

فرأى رسول الله A بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه .

وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله .

لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى أن يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره إلا أنه يجتهد

ويتواضع ويفعل